

التخاطب التعليمي من المستوى العامي إلى المستوى الاسترسالي

دراسة في ضوء تصور عبد الرحمن الحاج صالح

Educational communication from the colloquial level to the recital level

A study in light of Abd al-Rahman al-Hajj Saleh perception

عمر لمين¹، مسعود غريب²Omar Lamin¹, Messaoud Gharib²1 جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، lamin.omar@univ-ouargla.dz2 جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، ghmessaoud@gmail.com¹مخبر النقد ومصطلحاته

تاريخ النشر: 2025/05/28

تاريخ القبول: 2025/03/12

تاريخ الاستلام: 2025/02/04

الملخص: تتناول هذه الدراسة لغة التخاطب داخل المدرسة الجزائرية، حيث يلاحظ أن المستوى العامي يغلب على عملية التعلم بين المعلم والمتعلم، رغم توافر اللغة العربية على مستويات فصيحة مثل "الترتيلي" و"الاسترسالي". تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة تأثير استخدام المستوى "الاسترسالي" كوسيلة للتخاطب بين أطراف عملية التعلم في المدرسة الجزائرية، وتأثير ذلك على تطوير مهارات التواصل الشفهي.

تعتمد الدراسة على آراء وأفكار "عبد الرحمن الحاج صالح"، أحد أبرز الأعلام في الدرس اللساني المعاصر في الوطن العربي. إن استخدام المستوى "الاسترسالي" سيسهم في تحسين القدرات التبليغية للمتعلمين، وتعزيز مهاراتهم في الفهم والإفهام، مما يشكل إضافة مهمة للعملية التعليمية داخل المدارس الجزائرية. نأمل أن توفر هذه الدراسة رؤية شاملة ومفيدة لتطوير عملية التعليم والتواصل.

كلمات مفتاحية: تخاطب تعليمي، مستوى عامي، مستوى استرسالي، درس لساني، عبد الرحمن حاج صالح.

Abstract

This study deals with the language of communication within the Algerian school, where it is noted that the colloquial level dominates the learning process between the teacher and the learner, despite the availability of the Arabic language at eloquent levels such as "Al-Taratili" and "Al-Istarsali". This research paper aims to study the effect of using the "recursive" level as a means of communication between parties in the learning process in the Algerian school, and its effect on developing oral communication skills.

The study is based on the opinions and ideas of Dr. Abdul Rahman Al-Haj Saleh, one of the most prominent figures in contemporary linguistic studies in the Arab world. We believe that using the "recursive" level will contribute to improving learners' communicative abilities and enhancing their comprehension and understanding skills, which constitutes an important addition to the educational process within Algerian schools. We hope that this study will provide a comprehensive and useful vision for developing the education and communication process.

Contemporary linguistics lesson by Dr. Abd al-Rahman al-Hajj Saleh and his thoughts on this topic.

Keywords: Educational speech, colloquial level, communicative level, A lesson in linguistics, Abd al-Rahman al-Hajj Saleh.

المؤلف المرسل: عمر لمين، الإيميل: lamineomar198701@gmail.com

1. مقدمة:

كُونَت السَّعةُ الاطلاعية على التَّراث اللُّغوي العربي لعبد عبد الرحمن الحاج صالح قاعدة انطلاق نحو اقتحام فضاءات الدَّرس اللساني العربي، وفتحت شهيته أكثر الرُّوح الانفتاحية على العلوم اللِّسانية الغربيَّة، قادتَه ليقَدِّم إسهامات وانتاجات غزيرة في هذا المجال، ممَّا جعله اسما عتباتيا يلج منه -أو يقف- عنده كل باحث أراد الخوض في اللسانيات العربية سواء من الباحثين الجزائريين أو الباحثين العرب، ويرجع ذلك لقدرته المتميزة والمالكة لمفاتيح النَّقد للواقع اللغوي الذي استفحل في اللسان العربي، مما جعله يستنفر الهمم، وينادي في الضمائر الحيَّة التي تغار على لسانها ولغتها، مناشدا بتغيير المناهج المعتمدة في المدارس الجزائرية ويمني النَّفس أن تحذو حذوها المدارس العربية عامَّة، كون اللُّغة المستخدمة في حاضرتنا داخل هذه الهياكل والمؤسسات لا تتناسب مع متغيرات العصر، ولا تواكب سرعته في التقدُّم التكنولوجي الذي يفرض مسميات جديدة بشكل دوري ومتسارع لم يعهده الأولون، كما أنَّ اللُّغة المستخدمة في التَّدريس بعيدة عن روح العربية التي كان النَّاطقون بها يستخدمون مستويين؛ يُعنى المستوى الأول بالمستوى العامي الذي تستخدمه المجتمعات في عملية التواصل بينها واستخدام التعابير الشائعة منها، بينما يرتبط المستوى الثاني بالمستوى الاسترسالي الذي تضبطه ضوابط تقَّده نحويا وصرفيا وتركيبيا. دعا عبد الرحمن الحاج صالح إلى استخدام المستوى الاسترسالي في المدارس وتعليم النَّاشئة عليه، وتحرير العملية التعليمية من قبضة المستوى العامي الذي استفحل وطغى في عملية التواصل التعليمي، والذي باتت عيوبه واضحة للعيان، ونتائجها ماثلة أمام أعين النَّقاد والمختصين في الدَّرس اللغوي.

على هذا الأساس انبنت دراستنا على إشكالية فحواها: ما مدى تأثير اعتماد المستوى "الاسترسالي" في بلورة لغة التَّخاطب التعليمي الشَّهفي وفقا لآراء وأفكار الدَّكتور عبد الرحمن الحاج صالح؟

2. مستويات اللغة بين اللغة والاصطلاح:

لكل لغة ولسان في أي جغرافية في هذه المعمورة مستويين من التواصل، يستخدم المستوى اللغوي الأول لغة بسيطة يعبر بها المتأخضون عن حاجاتهم اليومية فيما بينهم، وهي لغة غير ثابتة تتعرض للتغير باستمرار، إذ تلعب فيها العوامل الاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية والتجارب الإنسانية المختلفة دورا بارزا في تكوينها؛ فتتشكَّل اللُّغة العاميَّة كنتيجة حتمية مستجيبة لمعطيات هذه العوامل.

أمَّا المستوى الثاني فهو متعلق بالمستوى الذي يحفظ اللُّغة من زوالها واندثارها، فيؤسس لها قواعد تقَّدها، وتكون بمثابة الحصن المنيع الذي يقف في وجه تيارات الطَّمس الهويَّاتي الذي يستهدف دائما اللُّغة لمكانتها النفسية والفكرية في تشكيل الهوية، يُعرف هذا المستوى بالمستوى الاسترسالي، الذي رأى فيه عبد الرحمن الحاج صالح أنه

الوسيلة اللغوية الأنجع والأنجح للمدارس الجزائرية خاصة، والعربية عامة، لما له من إيجابيات تعزز من القدرات التخاطبية للمعلم والمتعلم على حدّ سواء.

1.2 المستوى العامي:

ورد في معجم الوسيط أنّ لغة العامّة "هي خلاف الفصحى" (المعجم الوسيط، 2004، صفحة 629)، وهي تعني اللغة المستخدمة بين الأفراد والأشخاص المكوّنين لمجتمع معين وهي وسيلة تواصلية تقتضي التعبير عن حاجتها والمشاعر بلغة لعبت عوامل عديدة في تكوينها أبرزها التناقف والغزو بمختلف أشكاله وأنواعه حيث تقترب تارة من الفصحى وتبتعد عنها تارات أخرى، مما يمكن تعريفها بأنّها "تمط من الاستخدام اللّغوي داخل اللّغة الواحدة، يتميز عن غيره من الأنماط بجملة من الخصائص اللّغوية الخاصّة." (أنيس، 1989، صفحة 71)

تشكل اللغة العامية من رواسب التجارب الاجتماعية التي يعيشها مجتمع، أي التشكل عبر العامل التاريخي، وبذلك تصبح العامية لهجة تفرعت عن اللغة الأصلية ودخلت عليها روافد لغوية أجنبية، ويتخذها المجتمع وسيلة تواصلية في حياته اليومية بحيث تختلف العامية من مجتمع لآخر وقد تختلف في المجتمع الواحد من مكان لآخر، ممّا يجعل اللغة العامية لغة محدودة الاستعمال ومنحصرة جغرافيا، رغم فاعليتها داخل حيّز استخدامها.

2.2 المستوى الاسترسالي

الاسترسال من المصدر استرسل "والاسترسال في الحديث: الاتّساع والاستمرار فيه، ويحمل دلالة المصطلحات التالية: الاستئناس، والاتساع، والانبساط" (معجم المعاني، 2024).

أمّا اصطلاحا فقد تعدّدت مفاهيمه وماهيته، إذ يعتبر المستوى الاسترسالي ذلك المستوى الذي يستخدم في مواطن الأُنس، وبعبارة أخرى هو المستوى المستعمل في العلاقات الأسرية والاجتماعية التي يستأنس أفرادها بعضهم ببعض، كالحوارات القائمة بين أفراد العائلة الواحدة من زوج وزوجة وأبناء داخل المنزل، وتمتد هذه المؤانسة لخارجه كالأصدقاء والزملاء، حيث يرجع استخدامه أساسا لسلاسته وفاعليته في تحقيق غاية التواصل، متميزا بخصائصه اللغوية إذ يميل لكثرة التخفيف، ويستخدم الاختزال في بناء الحركات، كما يستخدم الحذف لما يمكن حذفه حرفا كان أو كلما، كما يدغم الحروف بعضها في بعض من آخر الكلمة إلى أول الكلمة التي تليها، ناهجا أسلوب التخفيف ما استطاع إليه سبيلا (كريمة، 2002، صفحة 43).

هذا المستوى التخاطبي شدّد عليه عبد الرحمن الحاج صالح ودعا إليه، ليكون وسيطا لغويا بين المعلم والمتعلم في عملية التعليم، وركيزة للتخاطب الشّفوي، مرجعا ذلك لقابلية النفسية البشرية وطباعها الميالة للراحة،

موفرة وقتها وجهدها في توصيل رسالتها أو فكرتها والتعبير عن حاجتها، وهذا بالضبط ما يمنحه مستوى الأنس الذي يخرج من لسان المُخاطَب لينفذ لنفسية المُخاطَب، ممّا يمنح لغة دينامية تجاري الدينامية المتسارعة في مختلف مناحي الحياة تكنولوجيا كانت أو إنسانيا، فتستغني بذلك اللغة عن الزوائد من الكلمات، وتكتفي بما يضمن لها الدقة في إيصال المعنى، مركزة على مقصديتها، دون الحاجة إلى أدوات التفسير أو التأويل، ممّا قد يخل بالمعنى المراد للمتكلّم.

3.2 خصائص المستويين العامي والاسترسالي:

لكل مستوى من مستويات اللغة ما يميزه في عملية التواصل ومدى فاعليته ونجاعته في عملية التأثير والتأثر.

1.3.2 خصائص المستوى الاسترسالي:

يحتل مستوى "الأنس" في الترتيب اللغوي للمنطوق في اللسان العربي المرتبة الثانية بعد المستوى "الترتيلي"، ويعد "عبد الرحمن الحاج صالح" أول من استخدم هذا المصطلح، وبذل مجهودات كبيرة جدًا من أجل أن ينال هذا المستوى حظه ومكانته الأساسية في البرامج التعليمية للأطوار المختلفة في الرقعة الجغرافية العربية برمتها، مُراهنًا على خصائصه التي تمكنه من أن يكون الوسيلة الأولى للمُخاطَب الشفوي، ولعلّ أبرز الخصائص التي يمكن أن نذكرها هي كالتالي:

- **الاستخفاف الصوتي والنحوي:** تعدّ ظاهرة الاستخفاف الصوتي من أبرز خصائص المستوى الاسترسالي كونها تقوم أساسًا على تحويل وتبديل الأصوات من أصوات معقدة ومركبة إلى أصوات سلسلة وسهلة في النطق، بينما تكون ظاهرة الاستخفاف النحوي بتطبيق صيغ بسيطة تجعل النحو سهلاً خدمة لتيسير استخدام اللغة في التواصل.
- **الاقتصاد اللغوي في عملية التواصل:** يعدّ من التقنيات الفنية التي تستخدم عدداً قليلاً من المفردات لكنها تحقق العديد من المدلولات التي تحقق مستوى عالي من الفهم والوضوح، وهذا ما يسعى إليه المستوى الاسترسالي حيث يبسط اللغة وفقاً للاختصار كأن نقول مثلاً: "إلى أقرب سوق ممكن" نختصرها فنقول: "أقرب سوق"، كما نجد في الاقتصاد اللغوي "حذف الكلمات الزائدة، كأن نقول: "أعتقد أنني فائز لا محالة" وعند حذف الزائد من الكلام تصبح: "سأفوز"، كما نجد الاختزال التعبيري في الاقتصاد اللغوي كأن نقول: "كانت السهرة ممتعة" فنقول اختزالاً: "كانت مبهجة".
- **توفره على بيئة تواصل مريحة:** ويكون ذلك بالاستئناس، والاسترخاء والعفوية، حيث يستأنس البعض للبعض الآخر فتتولد مشاعر الألفة، وبالتالي يحدث الاسترخاء الذي بدوره يخفف التوتر لتسود روح

العفوية فيحدث التّواصل دون تكلف، ولا تحضير أي يكون بشكل طبيعي بعيدا عن الرسمية المتكلفة.
(أسامة و أنفال، 2018)

2.3.2 خصائص المستوى العامي:

"لقد ورد في التعريفات السابقة ما يفيد أنّ العامية هي لغة عامة الناس، بسيطة وسهلة، استعمالها في المتناول، فالمتكلمون بها يميلون إلى كل ما هو سهل على النطق والاستعمال، ومن خصائص هذا المستوى نجد أنّ معظم الألفاظ في العامية إمّا عربية فصيحة، وإمّا محرفة تحريفا قليلا" (فوزية، 2017)، أو ألفاظ من بقايا اللهجات، أو اللغات الأخرى الرافدة كولونيليا، أو سياسيا أو اقتصاديا، فيتميز المستوى العامي بالخصائص التالية:

- **البساطة والسهولة:** يرجع ذلك أساسا كون المستوى العامي مستوى تواصل اجتماعي يستخدم بشكل يومي في المواقف غير رسمية، لذلك يكون سلسا تجري ألفاظه على اللسان دون مراعاة للقواعد النحوية أو الصرفية وبالتالي تكون تراكيب جملة سهلة.
- **الابجاز:** وذلك راجع لتجنب المستوى العامي للتعقيدات التي تفرضها قواعد اللغة سواء كانت نحوية، أو إملائية والتي هي من صميم اللغة الفصحى.
- **توظيف التجارب في التعبير التواصلي:** تتميز اللغة العامية باستخدامها للأمثال والحكم التي كانت عصارة تجارب اجتماعية أو فردية، من أجل أن تحمل هذه الأمثال والحكم الشعبية أفكار المتكلم وتزيدها وضوحا للمستمع.
- **التغير:** من خصائص المستوى العامي التغير بتغير المناطق الجغرافية التي تختلف لهجاتها ما يضيف تنوعا للغة.
- **العفوية:** وهذه تعتبر من أهم الخصائص التي تميز المستوى العامي، لأنه يبتعد عن الرسمية والاحترافية التي تعقد من مأمورية النّقال، عكس العامية التي تتميز بالعفوية مما يجعل التّواصل طبيعيا سهلا بين الفئات الاجتماعية. تميز المستوى العامي بالتفاعل العفوي والطبيعي، بعيدا عن الرسمية والاحترافية.

3. الأخطاء المنهجية في استعمال اللغة العربية في الوسط المدرسي: الأسباب والحلول في ضوء رؤية عبد الرحمن الحاج صالح:

إنّ ظاهرة الخلط التعبيري أثناء التخاطب التعليمي بين المستوى العامي والإجلالي والاسترسالي هي ظاهرة خطيرة أضحت منتشرة بشكل رهيب في الوسط التعليمي بمختلف مراحله، ظاهرة أثّرت بشكل واضح وجلي -إلى جانب

ظواهر لغوية منهجية أخرى- على مستوى التعبير الشفهي -خاصة- لدى طلابنا، حيث أصبحنا نرى طالبا من مستوى جامعي لا يحسن حتى التعبير بجملته شفوية مباشرة مكتملة المعنى ومحقة للغاية التواصلية فهما وإفهاما. هذا التلوث اللغوي كان الأساس -يقول عبد الرحمن الحاج صالح- في تهميش اللغة وجعلها عاجزة عن تأدية الغاية التبليغية أو المقاصد المرادة. هذا الخطأ المنهجي في استعمال اللغة في الوسط المدرسي أرجعه "عبد الرحمن الحاج صالح" إلى عدة أسباب نذكر منها على وجه الخصوص: (الشريف، 2012، الصفحات 7-9)

1.3 المادة اللغوية:

إن ما كان يُقدّم للمتعلم من مادة لغوية -يقول عبد الرحمن الحاج صالح- امتاز ببعدين سلبين؛ البعد الأول هو "الغزارة في المادة الإفرادية" أما البعد الثاني فكان "الخصاصة في مدلولاتها"، ما يجعل ذهن المتعلم يتشتت ويحد من قدراته الاستيعابية، كيف لا ونحن نعلم بمدى توفر اللفظ الواحد على مدلولات مختلفة تختلف باختلاف سياق استعمالها ومقام توظيفها، بالتالي خصخصة بعض المفردات بمدلولات معينة وتحميلها بمعاني خاصة لهُو توجه يقيد استخدام تلك اللغة أو تلك المفردات في مواقف حياتية مختلفة قد يحتاجها المتعلم في مقامات استثنائية.

يقول "عبد الرحمن الحاج صالح": (إنّ اطلاعنا على الحصيلة من المفردات التي تقدّم للطفل...أظهر لنا عيوباً ونقائص في هذه الحصيلة لا يكاد يتصورها المربي، فمن حيث الكم تقدّم للطفل غالبا كمية كبيرة جدا من العناصر اللغوية التي لا يتمكّن بأي حال من الأحوال أن يأتي عليها جميعها، ولذلك تصيبه ما نسمّه بالتّخمة اللغوية، وقد يكون ذلك سببا في توقف آليات الاستيعاب الذهني الامتثالي وهذا ما نلاحظه في تنوع المفردات) (عبد الرحمن، الحاج صالح، 2007، صفحة 180) ويبقى مشكل هذا الاستيعاب الذهني الامتثالي يكمن بشكل خاص - مثلما سبق وأشرنا- في قدرة المتعلم على توظيف المفردة الواحدة في مقامات حياتية مختلفة بأسلوب تلقائي عفوي دون صعوبة أو تكلف.

2.3 القصور المعرفي بكيفيات تأدية اللغة العربية:

إنّ هذا القصور يؤثر سلبا على الملكة الإفهامية لدى المتعلم -مثلما أشرنا أعلاه- فمن المعلوم أنّ اللغة العربية تخضع لمبدأ الاستعمال في ضوء سياق الحال؛ فإذا تعلّم التلميذ أنّ مصطلح "الجزر" في مادة الرياضيات باعتباره رمز رياضي، فإنّ المصطلح نفسه يختلف معناه إذا أُستعمل في مادة العلوم الطبيعية، حيث يدل حينها على جذور النباتات... وقس على ذلك مع ما تحمله المفردة في سياقات أخرى مختلفة. فإهمال عنصر الاستعمال في مقابل التركيز على تلقين المعارف النظرية -رغم أهميتها- عيب منهجي وخطأ تعليمي، وإغفال غير محمود لحقيقة الاستعمال الفعلي للغة العربية بكلّ ما يتطلبه التعبير الاسترسالي من خفة واقتصاد في الجهد والوقت.

حتى أن الكثير من المعلمين اليوم يصنفون -عن قصد منهم أو عن غير قصد- الكثير من المفردات والتراكيب الفصيحة في خانة الشذوذ غير المرغوب في اللغة العربية ليس لأي سبب سوى لأنها مُدرجة في درجة دنيا من درجات السلم اللغوي، إنها درجة "الأنس" الذي يتصف بالخفة والابتذال، وبحجة وجود هذا الشكل اللغوي في لهجات مختلفة، هذا على الرغم من ثبوت استعمالها من فصحاء العرب وبلغائهم، بل والأكثر من ذلك، فإن الأداء القرآني في حد ذاته قائم على الخفة!

يقول "عبد الرحمن الحاج صالح": (وتجاهل الناس هذا المستوى المستخف من التعبير العفوي لشدة غيرتهم على الصحة اللغوية حتى أدّاهم ذلك إلى اللحن) (عبد الرحمن، الحاج صالح، 2007، صفحة 75).

هذا، ويمكن القول أن من أسباب تفشي ظاهرة استعمال اللغة العربية المختلطة بالعامية أو حتى الممزوجة بلغة ثانية -نحو اللغة الفرنسية- هو تغييب استعمال الخطابات البسيطة التي استعمالها الأعراب في مقامات الأنس والبهجة، والتي قد تقترب كثيرا من اللغة التي يسعى المتعلم إلى استعمالها في الوسط المدرسي لقربها من لغته الخاصة، ما يُسهّل حسن الفهم والإفهام دلالة ومعنى، فعلا وإنجازا.

على هذا الأساس يمكننا القول بناءً على ما سبق أن من أهم الحلول (زهرة و عبد السلام، 2022، الصفحات 300-301) الواجب انتهاجها من أجل معالجة الأخطاء المنهجية في استعمال اللغة العربية في الوسط المدرسي يكمن بداية في التركيز على الجانب الاسترسالي بما هو نظام لغوي مهم في اللغة العربية، حيث ينبغي الاعتناء به أكثر... لأنه يخضع لنواميس العفوية اللغوية التي تتصف بها كل اللغات التي ينطق بها يوميا (زهرة و عبد السلام، 2022، صفحة 74)؛ لأن العودة إلى هذا النوع من الأنظمة اللغوية داخل المدارس هو حل رفيع لفتح الأبواب على مصرعيها أمام استعمال العربية الفصحى في الخطابات الشفوية، فضلا على أن تعليمية الفصحى على وجه واحد في جميع المواقف الخطابية يؤدي -بلا شك- إلى إقصائها من كل تخاطب شفاهي عادي واستثنائي حتى وإن كان في موضع علمي بحث (زهرة و عبد السلام، 2022، صفحة 16)، إذ لا يمكن تصوّر الاعتماد على المنجز الخاص الذي يتعلمه التلميذ في المدرسة كسبيل لاستعمال الفصحى في الحياة اليومية، فالمدرسة لا تعلم إلاّ الأداء المقروء ولا تعلم الأداء المنطوق المسترسل، هذا الأخير الذي أهمله المعلم -أحد أبرز أقطاب العملية التعليمية التعليمية- عبر تقييده العربية في مجال خاص، هو مجال التحرير والترتيل، لزعهم أن للعربية نوعا واحدا من الإنجاز اللغوي هو الجدير بالتعلم من طرف المتعلمين أما ما سواه فهو لهجي، بناءً على ذلك كان من الخطأ وغير المناسب أن يركز المعلم اهتمامه أثناء العملية التعليمية ذات البعد اللغوي/البلاغي على ضرورة الإعراب والنطق الصحيح ببنية الكلمة بوجهيها الإخباري والدلالي باعتبار ذلك يجعل المتعلم يأخذ موقفا

معاديا للغة الفصحى إذا ما هي أصبحت تستدعي منه جهداً أثناء النطق وتوقعه في مآزق تعبيرية وبخاصة في سياقات عفوية ارتجالية، فليجأ حينها إلى العامية لخفتها على اللسان وسهولتها في التعبير عن المراد، يضاف إلى ذلك أنّ "اللغة إذا صارت تُكتسب الملكة بما فيها بالتلقين وإذا اقتصر هذا التلقين على صحة التعبير وجماله فقط (أو ما يبدو أنه كذلك) واستهان بما يتطلبه الخطاب اليومي من خفة واقتصاد في التعبير وابتذال واسع للألفاظ تقلصت رفعة استعمالها وصارت لغة أدبية محضة وعجزت حينئذ أن تعبر عنه لغة التخاطب الحقيقية سواء أكانت عامية أم لغة أجنبية" (عبد الرحمن، الحاج صالح، 2007، صفحة 17). (عبد الرحمن، اللغة العربية بين المشافهة والتحري، (بحث قدم لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1990، ونشر في محاضر هذا المجمع عام 1992 (، صفحة 68)

فضلا عن ذلك، فقد أشار "عبد الرحمن الحاج صالح" إلى ضرورة وأهمية التمييز بين النحو التعليمي والنحو العلمي؛ (أحمد بناني، مريم بناني، صفحة 541) لأنّ الغاية من تعليم اللغة كما يصرح "الحاج صالح" هو: "إكساب المتعلم القدرة العملية لا النظرية على استعمال اللسان وليس أن نجعل منه عالما متخصصا في علوم اللسان... فالنحو كهيكل للغة -وهو بذلك صورتها وبنيتها- شيء والنظرية البنوية للعربية شيء آخر التي هي علم النحو، كذلك الأمر بالنسبة للبلاغة فهي كيفية استعمال المتكلم للغة والنحو فيما هو مخير فيه لتأدية غرض عين...، فالذي يقصده المربي هو إكساب المتعلم القدرة على إجراء القواعد النحوية والبلاغية في واقع الخطاب ليس إلّا، وهذا لا سبيل إلى تحصيله إلا بطرق خاصة لا بحفظ القواعد أو دراستها على حدة" (عبد الرحمن، الحاج صالح، 2007، الصفحات 182-176)، فهدف المعلم أن يعلم المتعلم استراتيجيات استخدام اللغة استعمالا في مواقف حياتية مختلفة، فالمعلم ينشد تحصيل الملكة وهي "الصفة الراسخة أو المهارة المكتسبة في استعمال اللغة فهي قدرة يكتسبها الانسان يحكم بها أفعاله الكلامية، وهي غير علم النحو، فمعرفة المتكلم للغة التي ينطق بها هي معرفة عملية غير نظرية أما علم النحو كعلم قائم بذاته، فهو نتيجة لإعمال الفكر في بنية اللغة وأوضاعها"، (عبد الرحمن، الحاج صالح، 1984، صفحة 77) فعبد الرحمن الحاج صالح يدعو إلى أن يتحول الاهتمام بالنحو إلى نوع من المهارة لا نوع من المعرفة العلمية فقط. كما دعا في السياق ذاته إلى أهمية إدراج مادة "الأداء العربي" ومنه على وجه خاص الأداء القرآني في المناهج التعليمية سواء ما تعلّق بالمعلم أو المتعلم.

انطلاقا مما سبق، "فالذي نرجو ونعمل من أجل تحقيقه إذا هو أن نرجع للعربية الفصحى التي نعلمها صبياننا مستوياتها الطبيعية حتى تستطيع أن تغالب العامية واللغات الأجنبية، وتحل محلّها في أكثر المناسبات، إذ بوجود المستوى المستخف -والفصيح- يستطيع الطفل أن يستغني عن العامية بما يحتاج إليه من خفة وألفاظ غير

جزلة وغريبة" (عبد الرحمن، الحاج صالح، 1984، صفحة 71)، ولن يتأتى له ذلك إلا إذا تمكن من الممارسة الفعلية لكلا المستويين أثناء العملية التعليمية التعلمية، بالتالي أصبح من اللازم اليوم تخصيص أبواب من الكتب المدرسية بنماذج من اللغة العربية ذات البعد الشفهي العفوي، وهو البعد اللغوي الذي يتصف بالكثير من مظاهر الخفة والاقتصاد والاختزال لبعض العلامات الإعرابية، حتى يندوق المتعلم بلاغتها ويكتشف سرها وخفتها ويتمكن من سد حاجاته اللغوية، فيتمكن من محاكاة هذه النماذج دون الإخلال بأصول العربية الفصحى.

وعليه، دعا عبد الرحمن الحاج صالح -بناءً على ذلك- إلى أهمية اعتماد المستوى الاسترسالي في التخاطب التعليمي، فهو ليس بالمستوى الفصيح القح، ولا هو بالمستوى العامي الفاسد، إنما هو مستوى بيني يطلق عليه مستوى "الأنس" أو مستوى "الفصحى الخفيفة"، مستوى تكمن أهميته -حسب "عبد الرحمن الحاج صالح"- في التركيز أولاً وقبل كل شيء على (الاستعمال الفعلي للغة في جميع الأحوال الخطابية التي تستلزمها الحياة اليومية) (عبد الرحمن، الحاج صالح، 1984، صفحة 176)، ويضيف "عبد الرحمن الحاج صالح" في التأكيد على جزئية الاستعمال ضمن مستوى الاسترسالي: (ينبغي أن يكون المقياس الأول في بناء كل منهج تعليمي وأسرار هذا الاستعمال ينبغي أن يلم بها اللغوي) (عبد الرحمن، الحاج صالح، 1984، صفحة 176).

إن "عبد الرحمن الحاج صالح" يبين في هذا الإطار أهمية تمثيل اللغة لكل هيئات الخطاب وسياقاته الفعلية التي يحتاجها المتعلم، لأن إهمال الجانب الاستعمالي للغة يجعل المتعلم يعتقد بقصور اللغة عن التعبير عن احتياجه الحقيقي. والجانب الاسترسالي موافق تماماً في البيئة المدرسية التعليمية، فهو جانب فصيح بعيد عن التكلفة يميل إلى الخفة والاقتصاد في التعبير.

4. خاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي تمحورت أساسا حول التخاطب التعليمي من المستوى العامي إلى المستوى الاسترسالي - بشكل خاص في ضوء رؤية عبد الرحمن الحاج صالح-توصلنا إلى جملة من النتائج نوجزها في النقاط الآتية:

- إنَّ الاستخدام المفرط للعامية وانتقالها من الوسط الاجتماعي إلى الأوساط التعليمية في عملية التخاطب شكّل عائقا أمام الفهم العام للقصد المراد تبليغه.
- ضرورة إكساب المتعلّم القدرة العملية لا النظرية على استعمال اللّسان وليس أن نجعل منه عالما متخصصا في علوم اللّسان.
- أهمية إدراج مادة "الأداء العربي" ومنه على وجه خاص الأداء القرآني في المناهج التعليميّة سواء ما تعلّق بالمعلّم أو المتعلّم.
- أهمية اعتماد المستوى الاسترسالي في التخاطب التعليمي، فهو ليس بالمستوى الفصيح القح، ولا هو بالمستوى العامي الفاسد، إنّما هو مستوى يبني يسمح بالتعبير المسترسل.
- إعطاء الجانب الاستعمالي للغة مكانته الخاصّة لأهميته الكبيرة، باعتباره جانب يجعل المتعلّم يفتح لغويا ودلاليا للتعبير عن احتياجاته الحقيقي في كلّ زمان ومكان. ويعدّ المستوى الاسترسالي -مثلا سبق وأشرنا- موافق تماما في البيئة المدرسيّة التعليميّة، فهو جانب فصيح بعيد عن التكلف يميل إلى الخفة والاقتصاد في التعبير وفق ما يفرضه سياق الخطاب أو التواصل.ضع في خاتمة البحث تلخيصا لما ورد في مضمون البحث، مع الإشارة إلى أبرز النتائج المتوصل إليها، وتقديم اقتراحات ذات الصلة بموضوع البحث.

5. قائمة المراجع:

- أحمد بناني، مريم بناني. (بلا تاريخ). دور عبد الرحمن الحاج صالح في تطوير تعليم اللّغة العربية. مجلة آفاق علمية، 11(04)، 541.
- الحاج صالح عبد الرحمن. (بلا تاريخ). اللغة العربية بين المشافهة والتحري، (بحث قدم لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1990، ونشر في محاضر هذا المجمع عام 1992). بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، 01، 68.
- العيدي زهرة، و بن عليّة عبد السلام. (2022). الشاهد النحوي بين المستوى الإجلالي والمستوى الاسترسالي للّغة. مجلة اللغة العربية، 24(01)، 300.
- المعجم الوسيط. (2004). مجّمع اللغة العربية (المجلد 4). مصر: مكتبة الشرق.
- أوشيش كريمة. (2002). التداخل اللغوي في اللغة العربية تداخل العامية في الفصحى لدى تلاميذ الطور الثالث من التعلم الأساسي.
- بوشحان الشريف. (2012). الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده العلمية في ترقية استعمال اللّغة العربية. التواصل في اللغات والأدب والثقافة(31)، 7.
- طيب عمارة فوزية. (2017، 08 24). اللهجة العامية وتأثيرها على التعليم. أقلام الهند(03).
- عبد الرحمن، الحاج صالح. (1984). الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية بجامعة الجزائر. مجلة المعرفة(270)، 77.
- عبد الرحمن، الحاج صالح. (2007). الأسس العلمية واللّغوية لبناء مناهج اللّغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي. الجزائر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية.
- فريحة أنيس. (1989). اللّهجات وأسلوب دراستها (المجلد 1). بيروت-لبنان: دار الجيل.
- محمدي أسامة، و عياطي أنفال. (2018، 12). نصوص فهم المنطوق للطور الأول من التعليم الابتدائي بين المستوى الترتيلي والمستوى الاسترسالي. اللسانيات التطبيقية(04)، 97-79.
- معجم المعاني. (2024، 08 14). تم الاسترداد من <https://www.almaany.com/ar/dict/ar>